

الفصل الخامس

علم الاجتماع الإعلامي

obeikandi.com

## المقدمة

نتناول في هذا الفصل علم الاجتماع الإعلامى كأحد فروع علم الاجتماع، وستتناول في البداية العلاقة بين علم الاجتماع والاتصال، وناقش موضوع علم الاجتماع أولاً على أساس أن علم الاجتماع الإعلامى أحد فروعه. ونظراً لأن المحور الرئيسى لعلم الاجتماع هو دراسة الظواهر الاجتماعية Social Phenomena<sup>(١)</sup> فسيتناول الباحث بعض الظواهر الاجتماعية التى قد يسهم الاتصال فيها مثل الضبط الاجتماعى والتغير الاجتماعى والتنشئة الاجتماعية. إن الدراسات التى قامت حول تأثير وسائل الاتصال كانت النواة الأولى لعلم الاجتماع الإعلامى.<sup>(٢)</sup>

ونود أن نوضح أن نظريات التأثير الإعلامية قد تفيد في إعطاء صورة كلية عن تأثيرات وسائل الاتصال. وهذه النظريات والتأثيرات لا تعد منفصلة عن موضوع البحث، فالسينما والتلفزيون ليست بمنأى عن هذه التأثيرات، وإن كانت هذه التأثيرات لوسائل الاتصال عموماً، فإنها أوضح ما تكون للسينما والتلفزيون نظراً لكونها تنقل صورة حقيقية أقرب ما تكون عن الواقع، وإن كان تأثير التلفزيون يتزايد لتعاضد التعرض له، وللتأثيرات المترابطة للتعرض له.

(١) طلعت حسن عبد الرحيم. علم النفس الاجتماعى المعاصر. ط ٢ (القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٩٨١) ص ١٢.

(٢) إنشراح الشال. دراسات في علم الاجتماع الإعلامى: مدخل في علم الاجتماع الإعلامى (القاهرة: مكتبة نهضة الشرق، ١٩٨٥) ص ٣٢.

## علم الاجتماع والإعلام:

الاتصال عملية اجتماعية ضرورية لبقاء المجتمع البشرى، وكل المجتمعات سواء كانت بدائية أو حديثة تعتمد على الاتصال، وذلك حتى يتمكن أفرادها من المعيشة معا وليحافظوا على البناء الاجتماعى ويتمكنوا من التكيف مع البيئة، والمشاركة فى العملية الاتصالية تجعل الفرد كائنا اجتماعيا يتمكن من تحقيق دوره فى المجتمع. ولقد قام أساتذة العلوم الاجتماعية بدراسة الاتصال فى مجالات عديدة كالأنثروبولوجى والسياسة وعلم النفس وعلم النفس الاجتماعى وعلم الاجتماع وآخرون إضافة إلى من تخصصوا فى دراسة الاتصال نفسه.

وينبع الاتجاه السوسولوجى لدراسة الاتصال من المدخل الذى يؤكد على أن الاتصال عملية اجتماعية ذات نتائج بنائية وتنظيمية وثقافية<sup>(١)</sup>.

والتطور التكنولوجى الهائل الذى طرأ على وسائل الاتصال يجعل الباحث الإعلامى أمام علاقة مثيرة بين وسائل الاتصال والتغير الاجتماعى. ومن ثم كان علم الاجتماع من أوائل العلوم التى اتخذت منهجا تطبيقيا نحو مشكلات الاتصال.<sup>(٢)</sup>

وأهمية المدخل السوسولوجى لدراسة وسائل الاتصال الجماهيرى لا يمكن إنكارها. وهذا المدخل هام جداً لعلم الاجتماع، فما الذى يمكن أن يكون أكثر أهمية من دراسة أمور تؤثر على النظام الاجتماعى كالعلاقات الاجتماعية والمؤسسات الاجتماعية والتغير الاجتماعى<sup>(٣)</sup>.

(1) Charles R. wright, *Mass Communication: A sociological perspectives* 3rd edition (New York: Random House, Inc., 1986) P.4.

(2) Charles R. Wright, *Mass Communication Rediscovered: its past and future in American Sociology*, in: Sandra J. Ball Rokeach, Muriel G. Cantor (eds.) *Media, Audience and social structure*, 2nd printing (California: Sage publications, 1987) PP.22-33.

(٣) طه عبد العاطى نجم. إسهام نظريات علم الاجتماع فى دراسة الاتصال الجماهيرى: رؤية تحليلية نقدية، مجلة البحوث الإعلامية. جامعة الأزهر. العدد ١٢. ص ص ١٥١ - ١٦٠

ولقد تعددت الاتجاهات النظرية في علم الاجتماع، وتهتم هذه الاتجاهات بدراسة الاتصال الإنساني بصفة عامة والاتصال الجماهيري خاصة. وتبدو العلاقة الوثيقة التي تربط دراسة الاتصال الجماهيري والنظريات السوسيولوجية من خلال افتراضين أساسيين، يهتم الافتراض الأول بدراسة دور المؤسسة الإعلامية في إنتاج المعرفة وإعادة إنتاجها وتوزيعها من خلال مجموعة من الرموز تشير إلى أهميتها في تزويدنا بالخبرة عن العالم الاجتماعي ويتمثل الافتراض الثاني في أن وسائل الاتصال تشغل دورًا يتوسط بين الواقع الاجتماعي الموضوعي والخبرة الشخصية.

وإذا كان الاتصال يدخل ضمن ميادين بحث متعددة في مختلف العلوم الاجتماعية، حيث يهتم علم الاجتماع بدراسة الاتصال كنسق اجتماعي وعملية سوسيولوجية تؤثر وتتأثر بالبناء الاجتماعي، ويدرس علم النفس تأثير الاتصال على سيكولوجية الجماعة والفرد فإننا نجد أن هناك من يرى أن علم الاتصال Communicology لا يمكن أن يكون علمًا مستقلًا، فهو يشبه من الناحية المنهجية والنظرية علم الإجرام والذي يستقل به باحثون ينتمون إلى علوم متعددة ومن ثم فإن علم الإجرام ومعه علم الاتصال يعد مجالًا للبحث أكثر من كونه علمًا مستقلًا بأهدافه وموضوعاته ومناهجه<sup>(١)</sup>.

ولا شك أن بعثرة المعرفة العلمية حول ظاهرة الاتصال على مجالات علمية متعددة تأتي بآثار عكسية على تكامل الرؤية وشمولها لظاهرة الاتصال والتي تعد ظاهرة أساسية في المجتمع، ومن ثم نجد هناك ثلاثة اتجاهات حول هذا الوضع: يتمثل الأول في الاستفادة من نتائج العلوم الأخرى ليشكل قاعدة علمية لظاهرة الاتصال، ويتمثل الثاني في إمكانية قيام علم عام للاتصال ويمكن وصف هذا الاتجاه بأنه نظري عام، ويتمثل الاتجاه الثالث في إمكانية قيام علم عام للاتصال مع

---

(١) محمد سعد. المدخل السوسيولوجي لبحوث الاتصال والإعلام: دراسة تحليلية لمساهمات الباحثين الاجتماعيين المصريين والعرب. المؤتمر العلمي السنوي الثالث لكلية الإعلام: الاعلام بين المحلية والعالمية. الجزء الثاني ٢٥ - ٢٧ مايو ١٩٩٧. ص ص ٢٢٧-٢٢٩.

إمكانية تفرعه إلى علوم فرعية تتوافق مع الطبيعة الاجتماعية لظاهرة الاتصال<sup>(١)</sup>. ومع ذلك نرى أن هناك من يؤيد مشروعية قيام علم الاتصال كعلم مستقل بذاته، وقيام علم الاجتماع الإعلامي كفرع من علم الاجتماع استنادًا إلى أن من خصائص قيام العلم وجود طائفة من الظواهر المتميزة، وخضوعها لمنهج بحث والوصول إلى مجموعة من القوانين التي تحكمها.<sup>(٢)</sup>

لقد كانت بحوث الاتصال مجالًا بحثيًا نشطًا في السبعينيات والثمانينيات ومعظم هذه البحوث كانت تركز على أهمية سوسيولوجيا الاتصال الجماهيري والتي تمدنا بفهم أكبر للاتصال الجماهيري كعملية اجتماعية وبناء الاتصال كمؤسسة اجتماعية<sup>(٣)</sup>، وليس معنى هذا أن اهتمام علماء الاجتماع بالاتصال يرجع إلى السبعينيات وإنما يرجع إلى قبل ذلك بكثير، ويذكر أن سمول وفينسنت (١٨٩٤) Small & Vincent أشارا إلى أهمية دراسة وسائل الاتصال الجماهيرية بالنسبة لعلم الاجتماع منذ أن أصبح علماء، وهناك أمثلة في أوائل العشرينات توضح الوجود المستمر لدراسات الاتصال في علم الاجتماع كدراسة بارك (١٩٢٢) Park عن الصحافة المهاجرة والسيطرة عليها، ودراسة بلومروهاوزر Herbert Blumer and Philip. M. Hauser عن السينما والشباب في الثلاثينيات، ودراسة هافز (١٩٤٠) Hughes عن الأخبار وقضية الاهتمامات الإنسانية، ودراسات بوجارت (١٩٥٦) Leo Bogart عن التليفزيون وقراء الجرائد، وبحوث لانج ولانج في الخمسينيات وأواخر الستينيات Gladys Long and Kurt Long عن التليفزيون والسياسة... كل هذه الأمثلة وغيرها توضح اهتمام علم الاجتماع ببحوث الاتصال الجماهيري<sup>(٤)</sup>.

(١) محمد البادى. علوم الاتصال الجماهيري واستقلالها. *المجلة المصرية لبحوث الإعلام*. كلية الإعلام.

جامعة القاهرة. العدد الثالث. سبتمبر ١٩٩٨ •

(٢) محمد سعد. مرجع سابق، ص ٢٢٩ •

(3) Charles R. Wright, Mass Communication: A sociology perspective, *Op. Cit.*, Preface pages.

(4) Charles R. Wright, Mass Communication Rediscovered, its past and future in American sociology, *Op. Cit.*, PP.24-29.

## علم الاجتماع وموضوعه :

نظرا لأن علم الاجتماع هو ذلك العلم الذى يدرس المجتمع - كما يذكر صمويل سميث Samuel smith ونظرا لأن المجتمع متنوع جدا وغير محدود، نجد أن مجال علم الاجتماع أوسع من أى علم آخر لأنه يشمل كل التفاعلات interactions بين الأفراد والجماعات فى محيط مجتمعهم، كما أن علم الاجتماع يستفيد من العلوم الأخرى كأساس لتعميماته. (١)

وعندما نبحث عن الأصل اللغوى لكلمة Sociology الإنجليزية والتي تعنى علم الاجتماع، نجد أن الكلمة خليط من أصل لاتينى ويونانى والجزآن المكونان للكلمة يصفان ما يحاول علم الاجتماع أن يشرحه، فكلمة (Logy) تشير إلى دراسة على مستوى عال أو علم، وكلمة (Socio) تشير إلى المجتمع، ويعنى هذا أن كلمة Sociology تعنى دراسة المجتمع على مستوى عال من التعميم والتجريد. (٢)

ويعتبر أوجست كونت A. Conte أول من أطلق هذه الكلمة Sociology على الدراسات الاجتماعية، وكان ينوى تسمية هذا العلم الجديد الفيزياء الاجتماعية Social Physics ولكنه تخلى عن هذه التسمية بعد أن نشر أحد الباحثين البلجيكين دراسات إحصائية عن المجتمع وأسماها الفيزياء الاجتماعية. (٣)

وتختلف تعريفات العلماء لعلم الاجتماع، فيعرفه البعض على أنه: " دراسة السلوك البشرى و حياة الجماعات والمجتمعات. " (٤) ويعرفه أوجست كونت بأنه: " العلم الذى يدرس ظواهر المجتمع ومشاكله دراسة موضوعية علمية كغيره من العلوم، ويدرس النظم الاجتماعية فى حالتها الساكنة والتغيرات التى تصيب هذه

(1) Alfred Mc Clung Lee, *Op. Cit.*, Introduction Pages.

(٢) عبد الهادى الجوهري. *أسس علم الاجتماع* (القاهرة: د.ن، ١٩٩٣) ص ٧.

(٣) انشراح الشال: *دراسات فى علم الاجتماع الإعلامى: مدخل فى علم الاجتماع الإعلامى* (القاهرة: مكتبة نهضة الشرق، ١٩٨٥) ص ١٦.

(4) Beth B. Hess, Elizabeth W. Markson and Peter J. Stein, *Sociology*, 3rd ed., (New York: Macmillan Publishing company, 1988) P.3.

النظم وما يترتب على هذا كله من آثار".<sup>(١)</sup>

ويعرف صمويل سميث Samuel Smith علم الاجتماع بأنه: " الدراسة العلمية للمجتمعات الإنسانية والسلوك البشرى فى جماعات عديدة تكون المجتمع ".<sup>(٢)</sup>

ويذكر البعض أنه: " دراسة نظامية للعلاقات البشرية ويركز علم الاجتماع على الأفراد فى الجماعات المختلفة وعلى تفاعلاتهم مع بعضهم البعض وكذلك العلاقات بين هذه الجماعات والجماعات الأخرى ويشمل هذا مجموعة متضمنة أكبر هى المجتمع، ويبحث عالم الاجتماع فى نشأة هذه العلاقات ولماذا تدوم أو تنتهى وكيف تتغير وما نتائج هذا التغير.<sup>(٣)</sup>

وعلم الاجتماع هو العلم الذى يحاول أن يجعل لهذه التغيرات معنى وهو مكرب للتغير الاجتماعى فالتغير الاجتماعى يحدث طوال الوقت.<sup>(٤)</sup>

ويعرف جنزبرج Ginsberg علم الاجتماع بأنه: " دراسة المجتمع وهذا يعنى دراسة شبكة أو نسيج التفاعلات البشرية بين الأفراد وعلاقاتهم المتداخلة ببعضهم".<sup>(٥)</sup> ويتفق معه كل من سمول Small ماكيفر MacIver حيث يعرفه الأول بأنه " العلم الذى يدرس العملية الاجتماعية " ويعرفه الثانى بأنه: " العلم الذى يدرس العلاقات الاجتماعية".<sup>(٦)</sup>

---

(١) حسن همام: دراسات فى علم الاجتماع (القاهرة: دن، ١٩٩٢) ص ١٠.

(2) - Alfred Mc Clung Lee, (ed.) *Principles of Sociology*, 3rd ed., (New York: Barnes and Noble Inc., 1969) Introduction pages.

(3) - William Kornblum, *Sociology in a changing world* (New York: Holt, Rinehart and Winston, inc., 1988) P.4.

(4) Mavis Hiltunen Biesanz and John Biesanz, *Introduction to sociology*, 3rd edition (New Jersey: prentice Hall, inc., 1978) P.6.

(5) William Kornblum, *Op. Cit.*, P.1.

(6) W.J.H. Sprott, *Sociology*, 3rd ed., (London: Hutchinson university Library, 1966) P.9.

(٧) حسن همام. دراسات فى علم الاجتماع، مرجع سابق، ص ١١.

واختلف علماء الاجتماع أيضا في تحديد مؤسس علم الاجتماع، فهناك من اعتبر أوجست كونت مؤسسا لعلم الاجتماع وهناك من أخذ برأى دور كايم Durkheim واعتبر العلامة الفرنسي سان سيمون مؤسسا لعلم الاجتماع، وآخرون اعتبروا كارل ماركس Marx مؤسسا لهذا العلم، وهناك طائفة أخرى تعتبر ابن خلدون وأوجست كونت معا المؤسسين لعلم الاجتماع.<sup>(١)</sup>

وكما اختلف علماء علم الاجتماع في تعريف علماء الاجتماع وتحديد مؤسسه فأنهم أيضا قد اختلفوا في تحديد موضوعه ومجالاته.

فلقد قسم كونت ميادين علم الاجتماع إلى قسمين:

١- الثبات الاجتماعي أو الاستقرار الاجتماعي Social Static.

٢- الحركة الاجتماعية Social Dynamic.

واتفق معه في ذلك كثير من علماء الاجتماع وإن كانت تسميته قد تعدلت إلى تسمية الأول البناء الاجتماعي Social structure والثانى إلى التغيير الاجتماعي Social Change.<sup>(٢)</sup>

ويذكر دور كايم أن هناك ثلاثة مجالات لعلم الاجتماع:

١- المورفولوجيا الاجتماعية Social Morphology وتعنى دراسة في شكل المجتمع أو بنيته بما توفره من بيانات عن كثافة السكان والبيانات الأساسية المشابهة عن البيئة الجغرافية المحيطة.

٢- الوظائف الاجتماعية Social Physiology وتهتم بالعمليات الديناميكية في المجتمع كالدين والأخلاق والقانون والحياة الاقتصادية والسياسية... الخ ويتكون بها النظام العام أو القواعد التي تضبط السلوك.

(١) انشراح الشال: دراسات في علم الاجتماع الإعلامي. مرجع سابق، ص ص ١٥-١٨.

(٢) عبد الهادي الجوهري: أسس علم الاجتماع، مرجع سابق، ١٩٩٣، ص ص ١٧-١٨.

٣- الاجتماع العام General Sociology والذي يحاول اكتشاف القوانين الاجتماعية العامة الظاهرة في العمليات الاجتماعية الخاصة بالأفراد. (١)

ويذكر مصطفى الخشاب أن علماء الاجتماع قد انقسموا عند تحديدهم لموضوع علم الاجتماع إلى ثلاث طوائف:

١- الطائفة الأولى ترى أن موضوع علم الاجتماع هو دراسة العلاقات الاجتماعية.

٢- الطائفة الثانية ترى أن تقوم بجانب علم الاجتماع طائفة من العلوم الاجتماعية الجزئية يتناول كل منها دراسة ناحية من نواحي الحياة الاجتماعية.

٣- الطائفة الثالثة تضم مجموعة من العلماء لا يمثلون اتجاهًا واحدًا، فمنهم من يرى أن علم الاجتماع هو علم النظم الاجتماعية ومنهم من يرى أن الموضوع الأساسى لعلم الاجتماع هو دراسة المبادئ التى تؤدى الى الوحدة فى المجتمع والقوى التى تدفع به إلى التطور، ومنهم من يرى أن التغير الاجتماعى هو موضوع علم الاجتماع. (٢)

وكذلك قام Ginsberg جينزبرج بوضع قائمة للمشكلات او الموضوعات الرئيسية لعلم الاجتماع وتضم كلا من:

١- المورفولوجيا الاجتماعية Social Morphology: ولا تتضمن البحث فى كم السكان وتوزيعهم فقط ولكن تشمل أيضا دراسة البناء الاجتماعى أو وصف وتصنيف الأشكال الرئيسية للجماعات الاجتماعية والمؤسسات الاجتماعية.

٢- الضبط الاجتماعى Social control: ويعنى دراسة القانون والأخلاق

---

(1) W.J.H. Sprott, *Op.Cit.*, P.9.

(٢) مصطفى الخشاب. دراسة المجتمع (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٧٥) ص ٥٥.

والدين والعرف والتي تساعد على مساندة أو بقاء وتنظيم المؤسسات الرئيسية في المجتمع.

٣- العمليات الاجتماعية Social Processes وتعنى دراسة الأنماط المختلفة للتفاعل بين الأفراد والجماعات والتي تتضمن التعاون والصراع، والتكامل الاجتماعى والاختلافات بين الأفراد وعوامل التنمية في المجتمع أو عوامل تحلله.

٤- علم الأمراض الاجتماعية Social Pathology: ويشمل دراسة سوء التكيف الاجتماعى أو الاضطرابات في المجتمع ومعرفة أسبابها وطرق علاجها. (١)

وعموما فإن اتساع مجال الدراسة في علم الاجتماع قد يكون مسئولاً عن هذا الاختلاف في آراء علماء الاجتماع، فعلم الاجتماع وعلماءه يدرسون السلوك البشرى من نظرات المحبين التي توحى بالألفة إلى دراسة التنسيق المعقد من أجل إطلاق مكوك الفضاء. ومن أجل التحليل يتحدث علماء الاجتماع عن السلوك الاجتماعى كما يحدث في مستويات ثلاثة. (٢)

١- المستوى الصغير للملاحظة السوسولوجية Micro level: ويهتم بسلوكيات الفرد أو الأشخاص الآخرين الذين يتعامل معهم، وبمعنى آخر أنماط التفاعل بين أشخاص محدودين في نطاق تعامله في مواقف مع أشخاص قليلين. ونموذج لهذا دراسة جوفمان Goffman عن السلوكيات الروتينية اليومية للأشخاص.

٢- المستوى المتوسط Middle level: حيث يبحث علماء الاجتماع في الأبنية

---

(1)W.J.H. Sprott, *Op. Cit.*, PP. 9-10.

(2) William Kornblum, *Op.Cit.*, PP. 4-6.

الاجتماعية Social structures والتي نشارك فيها وتشكل حياتنا في المجتمع.

٣- المستوى الكبير Macro level: وهناك بعض العلماء يتعاملون مع هذا النطاق الأكبر في دراسات تحاول أن توضح العمليات الاجتماعية التي تؤثر في السكان أو أفراد المجتمع في الطبقات الاجتماعية المختلفة أو المجتمع ككل.

وإذا كان علم الاجتماع يدرس المجتمع بأسره، فإنه يولى اهتماماً لوسائل الاتصال حيث أنها ثالث المؤسسات الثقافية بعد الدين والتعليم، وهذا ما يتضح من الشكل الآتي: (١)

### شكل رقم (٢)

#### المؤسسات الثقافية الرئيسية في المجتمع (٢)

منظّماته الأساسية Key organizations	مؤسّساته الكبرى Major institutions	القطاع المؤسّساتي Institutional sector
الكنائس - المساجد - الممل والطوائف الدينية	الكاثوليكية الرومانية - البروتستانتية اليهودية - الإسلام - الهندوسية - البوذية	الدين
نظم المدارس العامة - الكليات - المدارس الدينية	الأولى - الثانوى - العالى - المهنى أو المحدود	التعليم

(1) *Ibid*, P.515.

(٢) نقلاً عن المرجع السابق، ص ٤٩٧. وأضاف الباحث المساجد إلى مؤسسات التربية الكبرى، كما أضاف المساجد إلى المؤسسات التي تهتم بتعليم الدين وهو ما يعرف عندنا بالتعليم الأزهرى \*

الخاصة بالكنائس أو church schools (المساجد)	Vocational parochial	
الشبكات التلفزيونية والإذاعية الجرائد والمجلات ناشر و الكتب شركات الأفلام	التلفزيون الراديو الصحافة نشر الكتب السينما	الاتصال وسائل الاتصال
المتاحف - المعارض الفنية - جماعات الرقص - المسارح	الفنون المرئية والتي يتم تأديتها	الفنون

### وسائل الاتصال والضبط الاجتماعي:

واهتمام علماء الاجتماع بوسائل الاتصال يعود إلى أن وسائل الاتصال تؤثر في المجتمع وتؤثر به، وفي الشكل السابق تتضح أهمية التليفزيون باعتباره أهم وسيلة وأول وسيلة من حيث ترتيب انتشارها في المجتمع بل إنه يعد من أقوى الوسائل في المجتمع حيث يتعرض له الجميع، وبهذا لم تعد وسائل الاتصال أدوات للاتصال فحسب ولكنها أصبحت أدوات للضبط الاجتماعي.<sup>(١)</sup>

ويعرف الضبط الاجتماعي Social control بأنه العمليات المخططة أو غير المخططة والتي يتم بها تعليم الناس أو دفعهم أو إقناعهم باتباع أعراف المجتمع وقيمه. وبقاء المجتمعات يعتمد على أفراد الذين يتصرفون بطرق يمكن التنبؤ بها، والسلوكيات المتطابقة مع باقي أفراد المجتمع يتم مكافأتها بينما تعطى عقوبات رادعة لذوى السلوك المنحرف، والمكافآت والعقوبات هذه جانب هام وحاسم لكل الأنظمة الاجتماعية<sup>(٢)</sup>.

(1) Harry J. Skornia, *Television and Society: An inquest and Agenda for improvement* (New York: Mc Graw Hill, 1968) P.145.

(2) Beth B. Hess, Elizabeth W. Markson and peter J. Stein, *Op. Cit.*, P.142.

وهناك ثمة آليات للضبط الاجتماعي ولها فاعليتها في سلوك الفرد حتى يحظى بتقدير أفراد جماعته، وبهذا تصبح الجماعات أداة لضبط السلوك، فنحن نضبط سلوك غيرنا والآخرين بدورهم رقباء على سلوكنا، كما توجد تنظيمات على مستوى المجتمع الشامل لكل الجماعات تراقب انتهاك القوانين والتقاليد والعرف والدين، وبدون هذا الضبط الاجتماعي تصعب معيشة الأفراد. <sup>(١)</sup> إذ أن الضبط الاجتماعي يعتبر أحد الطرق التي يمنع بها المجتمع الانحراف Deviance ويعاقب المنحرفين Deviants <sup>(٢)</sup> ويتفق هذا مع ما يذكره اوجبرن وينمكوف Ogburn and Nimkoff من أن مفهوم الضبط الاجتماعي يقصد به العمليات أو الوسائل التي تلجأ إليها الجماعة للتحكم في الانحراف عن المعايير الاجتماعية وأن كل ما يعتبر وسيلة من وسائل التنظيم يعتبر في الوقت ذاته أداة من أدوات الضبط الاجتماعي. <sup>(٣)</sup>

### ويزاول المجتمع الضبط الاجتماعي بطرق ثلاث:

- ١- تنشئة الأفراد مما يجعلهم راغبين في التصرف على النحو المطلوب منهم.
- ٢- فرض ضغوط جماعية على الأفراد تلزمهم بالتوافق وإلا عوقبوا.
- ٣- استخدام القوة حين لا تجدى الطريقتان السابقتان. <sup>(٤)</sup>

وبينما نجد أن بعض علماء الاجتماع يرون أن فكرة الضبط الاجتماعي تتضمن معنى التدخل والسلطة والقوة والسيطرة، نجد آخرون يرون أن الضبط الاجتماعي يشير إلى معاني الإرشاد والإشراف والتوجيه، وهناك فريق ثالث من العلماء يستخدمون كلمة الضبط بمعنى أنها تتضمن في وقت واحد فكرتي التنظيم والتخطيط سواء في ذلك التخطيط الاقتصادي أو التخطيط الاجتماعي. <sup>(٥)</sup>

(١) كمال دسوقي. الاجتماع ودراسة المجتمع. ط ١ (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٧١) ص ص ٢٠٤-٢٠٦.

(2) William Kornblum, *Op. Cit.*, P.201.

(٣) السيد الحسيني. علم الاجتماع: الجذور والنشأة والمفاهيم (القاهرة: د.ن، ١٩٩٦) ص ٣٧١.

(٤) كمال دسوقي. مرجع سابق، ص ص ٢٠٦-٢٠٧.

(٥) السيد الحسيني. مرجع سابق، ص ٣٦٨.

وتستطيع وسائل الاتصال - وعلى رأسها التلفزيون - أن تمارس الضبط الاجتماعي عن طريق الإرشاد والتوجيه - كما يرى علماء الفريق الثاني في فكرة الضبط الاجتماعي السابق الإشارة إليها - لأن وسائل الاتصال تمدنا بسيل هائل من الرسائل نتعلم منه. فالتلفزيون ينقل لنا حقائق الحياة، ويفسر العالم من حولنا وينقل لنا قصص الكفاح ويخبرنا عن الناس وعن الأماكن ويدعنا نعرف من الناجح ومن الفاشل.<sup>(١)</sup> وهناك العديد من الدراسات تبين أن من أهم دوافع التعرض للتلفزيون استكشاف الواقع وطلب النصيحة لما يجب فعله في المواقف الاجتماعية المختلفة.<sup>(٢)</sup>

### وسائل الاتصال والتغير الاجتماعي:

يعنى التغير الاجتماعي Social change التحولات التي تقع في فترات مختلفة عبر الزمن في نظام بيئة السكان والمجتمعات، كما يعنى أيضا التحولات في أنماط الأدوار والتفاعلات الاجتماعية وفي بناء ووظائف المؤسسات الاجتماعية<sup>(٣)</sup> ويميل علماء الاجتماع إلى التمييز بين التغير الاجتماعي والتغير الثقافي، فالتغير الاجتماعي يطرأ على العلاقات الاجتماعية بينما التغير الثقافي يصيب القيم والمعتقدات والمثل والرموز الشائعة في المجتمع، غير أن الواقع الفعلي يشير إلى صعوبة الفصل بين هذين النمطين.

فالتغير الاجتماعي يتم بواسطة أفرادهم جزء من البناء الاجتماعي، كما أن التغير الاجتماعي له مكونات ثقافية بالغة الأهمية في تحديده<sup>(٤)</sup> ولذا يرى عبد الهادي الجوهري أن التغير الاجتماعي جزء من موضوع أوسع وهو التغير الثقافي وهو

---

(1) Michael Morgan and Nancy Signorielli, Cultivation Analysis: Conceptualization and methodology, in: Nancy signorielli and Michael Morgan (eds.) *Cultivation Analysis: New Directions in Media Effects Research* (California: Sage Publications, 1990) PP. 13-30.

(٢) انظر على سبيل المثال الدراسات الآتية:

- Ronald J. Compesi, *Op.Cit.*, PP. 154-158.
- Austin S. Babrow, students Motives for watching soap operas, *Journal of Broadcasting and Electronic Media*, Vol. 31, No. 3, Summer 1987, PP. 309-321.
- (3) William Kornblum, *Op.Cit.*, p.566.

(٤) السيد الحسيني. مرجع سابق، ص ٤٤٧.

الذى يشمل كل التغيرات التى تحدث فى كل فرع من فروع الثقافة بما فى ذلك الفنون والعلوم والتكنولوجيا والعلوم التكنولوجية بالإضافة إلى تلك التغيرات التى تحدث فى قواعد التنظيم الاجتماعى أساساً.<sup>(١)</sup>

ويعرف مصطفى الخشاب التغير الاجتماعى بأنه: كل تحول يحدث فى النظم والأنساق والأجهزة الاجتماعية سواء كان ذلك فى البناء أو الوظيفة خلال فترة زمنية محددة ويذكر عدة عوامل للتغير الاجتماعى منها التغيرات التكنولوجية<sup>(٢)</sup> ولعل وسائل الاتصال أهمها فوسائل الاتصال والتليفزيون أهمها قدرة كبيرة على إحداث التغير الاجتماعى.

ولقد تأثر دانييل ليرنر Daniel Learner ومجموعة أخرى من العلماء الاجتماعيين بدرجة كبيرة بقدرة وسائل الاتصال على دمج الناس فى الحياة العامة وجلب التغيرات فى قيمهم التقليدية، يتضح هذا من دراسة ليرنر ١٩٦١ عن التغير الاجتماعى فى لبنان وبعض دول الشرق الأوسط، كما كشفت مقالات ليرنر عن تأثير وسائل الاتصال فى العلاقات بين الجنسين، فالمرأة العربية تعرضت للسينما الغربية التى تظهر النساء فى أدوار غير الأم والابنة وهذه الأشكال الجديدة غيرت القيم التقليدية للنساء.<sup>(٣)</sup>

ويعد الاتصال جزء أساسياً للتغير الاجتماعى<sup>(٤)</sup> ويقتنع كثيرون من دارسى الاتصال بأن وسائل الاتصال تقوم بتشكيل واقعنا<sup>(٥)</sup> ومن ثم يقوم معظم النقد الموجه لوسائل الاتصال على افتراض أن ما يراه الناس ويشاهدونه فى وسائل الاتصال يؤثر بقوة على اتجاهاتهم وسلوكهم<sup>(٦)</sup>.

(١) عبد الهادى الجوهري. *أسس علم الاجتماع*. ط ٣ (القاهرة: دن، ١٩٩٨) ص ٢٣٥.

(٢) مصطفى الخشاب، مرجع سابق، ص ص ١٨٨ - ٢٠٣.

(3) William Kornblum, *Op. Cit.*, PP.515-516.

(٤) شاهيناز طلعت. *وسائل الاتصال والتنمية الاجتماعية*، ط ٢ (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٨٦) ص ١٠١.

(5) William Kornblum, *Op. Cit.*, p.521.

(6) Beth B. Hess Elizabeth W. Markson and Peter J. Stein, *Op. Cit.*, P 562.

ومنذ تأكد الاقتناع بوجود علاقة بين عملية الاتصال الجماهيري ومستوى التطور الاجتماعى المادى وغير المادى، بدأ البحث الاجتماعى الإمبريقي يحاول جادا إلقاء الضوء على دور وسائل الاتصال الجماهيري كعامل من عوامل التغير الاجتماعى. وتجدر الإشارة فى هذا الصدد إلى أن هناك دراسات أجريت عن استخدام وسائل الاتصال فى تطوير البلاد النامية، ويمكن القول بشكل عام أن وسائل الاتصال ذات تأثير من شأنه التعجيل بحدوث التغير الاجتماعى.<sup>(١)</sup>

والتغيرات التى يتم ملاحظتها فى القضايا والصور النمطية التى تتداولها وسائل الاتصال الجماهيري ساعدت وما زالت تساعد فى التعرف على اتجاهات التغير وفهم آثار التغير الاجتماعى بصفة عامة.<sup>(٢)</sup>

ويهتم كثير من علماء الاجتماع بمناقشة دور الإعلام كأداة للتغير الاجتماعى ويقومون بتقييم هذا الدور، ولكنهم بداية يشيرون إلى طبيعة المهام والوظائف التى يمكن أن يؤديها الإعلام فى مجال التغير الاجتماعى.<sup>(٣)</sup>

### **دور وسائل الاتصال فى التنشئة الاجتماعية:**

فى الحقيقة يحظى التلفزيون بنصيب كبير من اهتمام الدراسات السوسولوجية بوسائل الاتصال الجماهيري، ويرجع اهتمام علماء الاجتماع بالتلفزيون إلى أنه يعد واحدا من أهم وسائل الاتصال التى تتنافس مع الوالدين فى مجال التنشئة الاجتماعية. وهناك سببان للاهتمام بالتلفزيون يتمثل الأول فى الوقت الهائل الذى يمضيه الأفراد أمام التلفزيون، فلقد أجريت دراسات بينت أن الفرد عندما يصل

(١) محمد الجوهري. بدايات المدخل الاجتماعى للإعلام والاتصال فى: محمد الجوهري (محرر) الاعلام والمجتمع: دراسات فى علم الاجتماع الإعلامى (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٨) ص ص ١٦-١٧.

(٢) محمد الجوهري: بحوث الاتصال الجماهيري. فى: محمد الجوهري (محرر) الاعلام والمجتمع: دراسات فى علم الاجتماع الإعلامى. المرجع السابق، ص ص ٦٨-١٦٦.

(٣) حسن هماد: دراسات فى علم الاجتماع والتغير الاجتماعى (القاهرة: دن، ١٩٩٣) ص ٣٣١.

إلى سن السادسة عشرة يبلغ متوسط مشاهدته من ١٢ ألف إلى ١٥ ألف ساعة، ويتمثل السبب الثاني في التعرض للعنف التلفزيوني وتأثيراته. (١)

ولا تمدنا وسائل الاتصال - وأهمها التلفزيون وما يبثه من برامج وأفلام - بمعلومات عن أحدث الموضوعات وأنماط مختلفة يعيشها البشر فقط، وإنما تشبع حاجتنا أيضا للتعرف على أنفسنا ومقارنة حياتنا بالآخرين والعلماء السلوكيين يفسرون هذه الظاهرة بما يسمونه نظرية المقارنة الاجتماعية Social Comparison Theory وطبقا لهذه النظرية فإننا نميل إلى تقييم آرائنا وقدراتنا وسلوكنا بمقارنتها مع الآخرين. وفي بعض الحالات نعتمد على الناس الذين نراهم أو نسمع عنهم في وسائل الاتصال، وبهذه الطريقة تساعدنا وسائل الاتصال على معرفة الكثير عن أنفسنا وعن الآخرين، ولهذا فإن العديد من الجماعات تضغط على وسائل الاتصال لتمدنا بنماذج يكون لها تأثيرات إيجابية في مجال التنشئة الاجتماعية على الأفراد. (٢)

وللتنشئة الاجتماعية أهمية كبرى في حياة المجتمعات، إذ أنها تقوم بوظيفتين في غاية الأهمية للمجتمع وهما: (٣)

١ - المحافظة على النظام الداخلي للمجتمع وتماسكه.

٢ - تعليم القيم والأدوار ونمط السلوك والقدرة على نقل القيم من جيل إلى آخر.

وتلعب وسائل الاتصال دورا كبيرا في التنشئة الاجتماعية للأفراد، لدرجة حدت بالبعض إلى تسميتها بالوالد الثالث Third Parent. فمن الملاحظ أن دور الوالدين يتقلص في مرحلة المراهقة وما بعدها، كما أنها ينشغلان أكثر بالسعى وراء الرزق

---

(1) Stuart A. Pizerl and Jeffrey Travers, *Psychology and Social change* (New York: Mc Graw Hill Inc., 1975) PP. 140-142.

(2) Samuel L. Becker, *Discovering Mass Communication* (USA: Scott, Foresman and company, 1983) P.406.

(3) Stuart A. pizerl and Jeffery Travers, *Op. Cit.*, PP. 123-124.

توفيراً لحياة كريمة للأبناء، والدور الكبير لوسائل الاتصال في التنشئة يتمثل في أن الكثيرين يستخدمون التلفزيون كجليس للأطفال Baby sitter وكذلك استخدام التلفزيون كأداة للشواب أو العقاب بحرمان الأطفال من مشاهدته.

وتوضح دراسة طريفة أجريت في جامعة نبراسكا Nebraska أهمية الدور الذى يلعبه التلفزيون في التنشئة الاجتماعية، فلقد أجرت الجامعة مسحاً قومياً حيث سئل الأطفال: " إذا كان عليك أن تختار بين أبيك وبين التلفزيون فأيهما ستحتفظ به؟ " وكانت النتيجة أن أكثر من نصف العينة اختاروا الاحتفاظ بالتلفزيون.<sup>(١)</sup>

كما أن سائل الاتصال الجماهيرية تسهل عملية التنشئة الاجتماعية عن طريق إعطاء الناس أشياء يتحدثون مع بعضهم عنها، وهكذا تساعدهم على تحقيق التنشئة الاجتماعية المتبادلة Mutual Socialization<sup>(٢)</sup> والكثير من الدراسات تذكر الفائدة الاجتماعية Social Utility كأحد دوافع التعرض لوسائل الاتصال<sup>(٣)</sup>، كما يشبع التعرض لوسائل الاتصال بعض حاجات التكامل الاجتماعى Social integration needs وهى الحاجات المرتبطة بتقوية الاتصال مع الأسرة والأصدقاء والعالم المحيط، كما تكون خاصة برغبة الفرد فى الشعور بالانتماء إلى المجتمع الذى يعيش فيه.<sup>(٤)</sup>

ونظراً لأن العديد من العائلات تقضى أكثر من نصف الساعات التى تكون

---

(1) Donna Woolfolk Cross, *Media speak: How Television Makes Up your mind*, 2nd impression (New York: Coward- Mc Conn, Inc., 1983) p.231.

(2) Samuel L. Becker, *Op. Cit.*, p. 406.

(٣) انظر على سبيل المثال:

-Ronald J. Compesi, Gratifications of Day Time Television Serial Viewers, *Journalism Quarterly*, Spring 1980. PP.154-158.

- Robert Abelman, Motivations for viewing:"The 700 Club", *Journalism Quarterly*, Vol.65, No.1, Spring 1988. PP.112-118.

(4) Jay Black and Jennings Bryant, *Introduction to communication: understand the past: Experience the present, Marvel at the Future*, 4th ed., (USA: Brown Communications, Inc., 1995) pp. 35-36.

متيقظة فيها مع التلفزيون فإن عددا من الاهتمامات الكبرى للمجتمع تكون موضوعا للنقاش بين الأفراد. ولم توجد وسيلة اتصال مثل التلفزيون تعتبر أكثر قوة في نقل صورة النشاط الإنساني للأفراد وتعزيز اتجاهاتهم أو تغييرها<sup>(١)</sup> ولعل هذا يوضح دور التلفزيون في التنشئة الاجتماعية.

ودور التلفزيون في التنشئة الاجتماعية يعنى مساعدة الناس في الانسجام والتلاؤم مع المجتمع وهذه عملية تستمر طوال الحياة، واستخدام التلفزيون بهذه الطريقة يعتبر نشاطا اجتماعيا ويجمع الناس سويا ويخلق وجهات نظر متقاربة ويسهل التفاعل الاجتماعى مع الآخرين.<sup>(٢)</sup>

وبالرغم من أهمية وظيفة التنشئة الاجتماعية والتي تقوم بها وسائل الاتصال إلا أن ممارسة هذه الوظيفة قد تأتى بنتائج عكسية أو كثيرا ما يساء استخدامها، فعلى سبيل المثال صار العنف والعري والإغراءات التي يتم تصويرها بصراحة وتغوى المتعرضين لوسائل الاتصال في الولايات المتحدة إضافة إلى أن اللغة الفاحشة أكثر شيوعا في وسائل الاتصال في المجتمع الأمريكى خلال السنوات الأخيرة. والنتيجة ما وصفه عالم الاجتماع الأمريكى ماكس ليرنر Max Lerner بأنه نوع من المجتمع البابليوني Babylonian Society حيث يمكن أن يجرى فيه أى شئ<sup>(٣)</sup>. ومن المعروف أن بابليون Babylon كانت مدينة كبيرة منغمسة في الترف والإثم، وتسمى باللغة العربية بمدينة بابل.<sup>(٤)</sup>

### علم الاجتماع الإعلامي:

يرى محمد الجوهري أنه لو اختلفت وسائل الاتصال فسوف يَختفى معها ذلك

(1) Warren K.Agee, Phillip H.Ault and Edwin Emery, *Introduction to Mass Communications* 8th ed., (New York: Harper and Row Publishers, Inc., 1985) P. 465.

(2) John Vivian, *Op. Cit.*, P 391.

(3) Warren K. Agee, Phillip H. Ault and Edwin Emery, *Op. Cit.*, P.475.

(٤) منير البعلبكي. قاموس المورد، انجليزية - عربى (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٦) ص ٨٠.

العلم الذى يتخصص فى دراسة ملامح عملية الاتصال وعناصرها ووسائلها وآثارها. (١)

ويبدو أن تأثيرات وسائل الاتصال كانت - ولا تزال - لب هذا العلم، حيث تذكر انشراح الشال أن: " الدراسات التى قامت حول تأثير وسائل الإعلام كانت نواة لعلم الاجتماع الإعلامى ". (٢)

وهناك علاقة وثيقة تربط الاتصال الجماهيرى بالمجتمع، ودراسة هذه العلاقة تنتمى إلى ما يسمى بسوسيولوجيا الاتصال الجماهيرى Sociology of Mass Communication أو علم الاجتماع الإعلامى، حيث يهتم هذا المجال بالتحليل الاجتماعى لوظائف وسائل الاتصال، إذ توجد مبادئ فلسفية ومعيارية عامة تؤكد على العلاقة التى تربط الإعلام بالمجتمع، فعلى سبيل المثال يتأثر المضمون الذى تقدمه وسائل الاتصال بالظروف الاجتماعية والاقتصادية السائدة فى المجتمع. (٣)

وعندما بدأ علم الاجتماع يولى اهتمامه لعملية الاتصال ليلم بأبعادها ومعايير تأثيرها فى أفراد المجتمع، رأى البعض أن يستقل بالإعلام فرع من فروع علم الاجتماع يركز على العملية الإعلامية وأبعادها التأثيرية والاقناعية فى المجتمع بأفراده وجماعته كى يسهم فى استكمال أبعاد الخريطة السوسيولوجية لأى مجتمع من منطلق الأهمية الكبرى للإعلام فكان علم اجتماع الإعلام. (٤)

ويعنى هذا أن الاتجاه السوسيولوجى لدراسة الاتصال الجماهيرى والذى يؤكد على اجتماعية عملية الاتصال ونتائجها، يعد ثمرة البحث فى علم الاجتماع الإعلامى، وهذا الاتجاه السوسيولوجى يضيف الكثير إلى فهمنا للاتصال الجماهيرى كظاهرة اجتماعية. (٥)

(١) محمد الجوهري: بدايات المدخل الاجتماعى للإعلام والاتصال. مرجع سابق، ص ١٦.

(٢) انشراح الشال: دراسات فى علم الاجتماع الإعلامى. مرجع سابق، ص ١٠.

(٣) طه عبد العاطى نجم. الاتصال الجماهيرى (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٨) ص ٧.

(٤) جبارة عطية جبارة. علم اجتماع الاعلام (الرياض: عالم الكتب، ١٩٨٥) ص ١١-١٢.

(5) Charles R. weight, Mass Communication: A sociological Perspective, *Op. Cit.*, p. 4.

ويركز علم اجتماع الإعلام Sociology of information في اهتماماته على دراسة العملية الاتصالية كعملية اجتماعية ديناميكية بما تشمله من عناصر كالمرسل والمستقبل والوسيلة والتأثير وما تؤديه من وظائف تربوية وتوجيهية تندرج بدورها على المجتمع ككل<sup>(١)</sup>.

وتعرف انشراح الشال علم الاجتماع الإعلامي بأنه: " دراسة وصفية علمية تحليلية مقارنة لوسائل الإعلام من حيث وجودها في المجتمع الإنساني مؤثرة ومتأثرة به".<sup>(٢)</sup>

ويرى الباحث أن علم الاجتماع الإعلامي هو ذلك الفرع من فروع علم الاجتماع والذي يعنى بالاتجاه السوسيولوجي في دراسة الاتصال الجماهيري ويبحث في بنية وسائل الاتصال المختلفة لاعتبارها أحد مكونات العملية الاتصالية كما يهتم أيضا بباقي المكونات من مرسل ورسالة ومستقبل<sup>(٣)</sup> وإن كان اهتمامه الأساسي يتركز في مضمون الرسالة وتأثيرها على الفرد والمجتمع مع الأخذ في الاعتبار أن الاتصال الجماهيري عملية اجتماعية ذات نتائج اجتماعية ثقافية تختلف باختلاف النظم والمجتمعات بل تختلف نتائجه في المجتمع الواحد من أن لآخر.

(١) جبارة عطية جبارة: مرجع سابق، ص ١٩.

(٢) انشراح الشال: دراسات في علم الاجتماع الإعلامي، مرجع سابق، ص ٣٢.

(٣) يعتبر نموذج هارولد لازويل Harold Lasswell الذي نشره في كتابه " اتصال الافكار " والذي نشره في ١٩٤٨ والمكون من خمسة أسئلة معبرا جيدا عن مكونات او عناصر عملية الاتصال. ونموذجه كالآتي: (١) من (القائم بالاتصال) (٢) يقول ماذا (المضمون) (٣) بأية وسيلة (وتشمل وسائل الاتصال والتكنولوجيا التي تنقل من خلالها الرسالة) (٤) لمن (الجمهور) (٥) وما التأثير (تأثيرات وسائل الاتصال). وفي عام ١٩٥٦ قام جورج جربنر George Gerbner بمد هذه الأسئلة الى عشرة وهي (١) شخص ما (٢) يدرك حدثا (٣) ويتصرف (٤) في موقف (٥) خلال بعض الوسائل (٦) ليتيح بعض المواد (٧) بشكل ما (٨) وسياق معين (٩) وينقل مضمونا ما (١٠) له بعض النتائج. ثم توالت النماذج التي تشرح مكونات عملية الاتصال وتبتعد عن الصفة الخطية لها وتشرح الصفة الدائرية والتي تعنى رد فعل الجمهور.. انظر:

- James Watson, *Media Communication: An introduction to theory and process*, 4th ed., (London: Mac Millan Press LTD, 1998) PP.38-42.

والذى يجعل الباحث يرى أن الاهتمام الأساسى لعلم الاجتماع الإعلامى يتركز فى مضمون الرسالة وتأثيرها، ما يذكره أغلب علماء الاجتماع من أن الأبعاد السوسيولوجية فى الإعلام يمكن أن تبرز لو استطعنا الإجابة على السؤال الآتى: " ما الدور الوظيفى للإعلام فى المجتمع؟ " إذ تكمن فى إطار الإجابة على هذا السؤال كل الأبعاد والقضايا السوسيولوجية المنهجية فى الإعلام<sup>(١)</sup>.

---

(١) أحمد النكلاوى. المدخل السوسيولوجى للإعلام (القاهرة: مكتبة نهضة الشرق، ١٩٧٤) ص٧٦.